مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 02 (2023م) • ص ص 361 - 386
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

الشيخ مبارك إبراهيمي الميلي ومنهجه في الدعوة والإصلاح

Sheikh Mubarak al-Mili and his approach to advocacy and reform

نور الدين لبجيري *
مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)
n.lebdjiri@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/29 | تاريخ الاستلام: 2023/05/03 | تاريخ النشر: 2023/07/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: تعالج هذه الدراسة موضوع "الشيخ مبارك الميلي ومنهجه في الدعوة والإصلاح"، من خلال عرض حياته العلمية، وتوضيح أبعاد منهجه الدعوي، حيث أثبتت الدراسة اعتماد الشيخ مبارك الميلي أسلوبا يرتكز على التخطيط البعيد، والاتزان الموقفي، والانضباط الشرعي، والتكامل النوعي، والتواصل المستمر والبنّاء مع غيره من الجهود الدعوية الأخرى، والابتعاد عن الارتجالية، كما أثبتت الدراسة ارتباط النشاط الدعوي للشيخ مبارك الميلي بنشاطه العلمي، ارتباطا تداخليا، بحكم طبيعة المرحلة، والمجتمع الذي عاش فيه الشيخ مبارك، ونوعية المدعوين.

الكلمات المفتاحية: مبارك الميلي؛ المنهج الدعوي؛ الإصلاح.

Abstract : This study addresses the subject of "Sheikh Mubarak al-Mili and his approach to advocacy and reform ", by presenting his scientific life, and clarifying the dimensions of his advocacy approach, where the study proved the adoption of Sheikh Mubarak al-Mili a method based on far-reaching planning, positional balance, and discipline, legitimate, qualitative integration, continuous and constructive communication with other advocacy efforts, and staying away from improvisation, as the study proved the link of the advocacy activity of Sheikh Mubarak al-Mili to his scientific activity, interrelated, by virtue of the nature of the stage, and the society in which Sheikh Mubarak lived, And the quality of the invitees.

Keywords: Mubarak al-Mili; The advocacy approach; reform .

1. مقدمة

انقسم الوطنيون الجزائريون في موقفهم من مواجهة المد الاستعماري وسيطرته على حياة الجزائريين إلى فريقين: فريق يؤمن بقوة العمل السياسي والنضال الحزبي للوقوف في وجه مخططات فرنسا والعمل على سحب البساط منها في قيادة المجتمع، أو على الأقل مزاحمتها في ذلك، وفريق يؤمن بوجوب تكوين جيل يحمل فكرا تحرريا سيضطلع لامحالة بواجب إخراج المستعمر ونفيه من هذه الأرض الطاهرة، وإن هذا الجيل لن يتأتى ظهوره إلا عبر التربية والتعليم، وإزالة الشوائب عنه وتطهير عقوله من الخرافة، عبر العمل على إحياء تعاليم الدين وقيمه في نفوسهم وضمائرهم، وإعادة بناء شخصيتهم الوطنية والدينية التي عمل الاستعمار على طمسها منذ نزوله بأرض الجزائر.

* المؤلف المراسل.

ولقد خاض الفريق الأول معارك انتخابية وسجالات سياسية ومواقف شعبية وسياسية، فيما كان الفريق الثاني يواجه معارك مع الذات المثبطة والنفوس المطموسة والخرافات المسيطرة والعقول المسلوبة والسلوكات الضالة، ويبدو أن الاتجاه السياسي قد تأثر بالفكر الغربي الذي كان ينظر إلى إن التغيير ثوري وعنيف، وآني؛ أي يتولد في لحظة لا تسبقه تحضيرات على المستوى الفكري بل تحضيرات في الجانب الإعدادي الإجرائي، ولقد شهد مطلع القرن الماضي نشاطا كبيرا لهذا الفريق، تزامن مع المخططات الاستعمارية التي اتجهت نحو تعميق السيطرة الفكرية والسياسية على المشهد الجزائري، جعلته يفكر في المستقبل الدائم له على هذه الأرض الطاهرة، وعبر عن ذلك باحتفاله بألفية تواجده على أرض الجزائر.

في هذه الأوضاع كان الفريق الثاني يواصل طريق أحرار الجزائر وعلمائها السابقين، نحو إعادة التوازن للنفس المسلمة الجزائرية، بعد سلسلة الضربات التي تلقتها من المستعمر وأذنابه المعمرين والرهبان الذين أحضرهم معه لتوطين ذاته، فقد عمل هذا الفريق على استمرار التعليم الإسلامي بالطرق التقليدية التي سار عليها سابقا، فكان يعلم النشء اللغة العربية ويضطلع بمهمة تحفيظ القرآن الكريم لهم وتعليمهم علوم الدين المختلفة، وإقامة الشعائر الدينية المختلفة ونقل القيم الدينية عبرها.

ولقد اضطلع بهذه المهمة رجال كبار من علماء الأمة ومخلصيها في مراحل مختلفة من حياة المجتمع الجزائري والمجتمعات الإسلامية قاطبة، وكان مبارك إبراهيمي الميلي واحد منهم، حيث عمل في هذا النشاط ضمن كوكبة من العلماء في النصف الأول من القرن الماضي، وهي الفترة التي كان فيها المجتمع الجزائري في امتحان كبير، بعد مرور ما يقارب القرن على تواجد المستعمر بأرض الجزائر، وما تبع ذلك من نشاط ثقافي وديني يستهدف هوية المجتمع ومقوماته وخاصة دينه وقيمه.

إن المتتبع لنشاط الشيخ مبارك إبراهيمي الميلي يكتشف من خلال نتائج هذا النشاط بناءً منهجيا وحركية عالية الدقة في هذا النشاط، تستوجب دراستها والوقوف عندها، فقد شق الشيخ مبارك الميلي طريقا واضح المعالم لتغيير الأوضاع وتصحيح الاختلالات التي أصابت الأفراد والمجتمع، خاصة وإنه انخرط مبكرا في النشاط الدعوي والإصلاحي الذي اشتغل عليه الإمام ابن باديس والذي اثمر فيما بعد بتأسيس جمعية العلماء، كما سعى الشيخ مبارك إبراهيمي الميلي لتقديم إضافات معتبرة في البناء المنهجي والنظري لهذا النشاط.

ولذلك اختصت هذه الورقة البحثية بدراسة طريقة ومنهجية هذا الرجل الذي كان من مؤسسي جمعية العلماء الجزائرية ومفكرها ومنظرها كما يقول الباحث عمار بوحوش[1]، فقد استجمع في حياته العلمية جوانب عدة، تستلزم دراستها والاستفادة منها.

وقد لاحظت قلة الدراسات التي تناولت الحياة العلمية والإصلاحية لهذه الشخصية الإسلامية

1 - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962م، ص 249.

العظيمة، بمنطق يرتكز على استنباط المنهجية والاستراتيجية التي كان ينتهجها في نشاطه الفكري والإصلاحي والدعوي، لذلك رأيت أن أبحث هذا الموضوع، خاصة وإن الوضع الحالي للمسلمين يفرض تكثيف الدراسات في هذا الجانب، لاستنباط الفوائد العلمية والمنهجية من سير أعلام الإسلام، للاستفادة منها في توجيه الحياة الفكرية والأنشطة الدعوية الهادفة إلى إصلاح الأوضاع الفكرية والدينية للمسلمين.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- التعريف بشخصية مبارك إبراهيمي الميلي كأحد كبار رجالات الإصلاح في النصف الأول من القرن الماضي.
- الوقوف على معالم منهج الشيخ مبارك الميلي في الإصلاح والتغيير.
- استخلاص صفات الشيخ الدعوية التي مكنته من تبوأ مكانة علمية وسياسية كبيرة في المجتمع الجزائري.

2. مدخل مفاهيمي

1.2. تعريف الدعوة:

لغة: دعا بالشيء دعوا ودعوة ودعاء ودعوى: طلب إحضاره... ويقال: دعا الميت: ندبه ...ويقال: دعا الله رجا منه الخير. ودعا على فلان طلب له الشر ...ويقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده. الداعية الذي يدعو إلى دين أو فكرة[1].

والدعاة قوم يدعون الناس إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين... والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله وكذلك المؤذن[2].

التعريف الإجرائي: قبل ذكر التعريف الإجرائي نشير إلى إن الدعوة الإسلامية تمتاز أساسا بميزتين؛ أما الميزة الأولى فهي أنها دعوة توحيدية، ونعني بذلك أن توحيد الله تعالى هو جوهرها وطابعها، يقول تعالى: ﴿**صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون**﴾ (البقرة: 137)، لذا فكل نشاط يكون جوهره توحيد الله تعالى هو دعوة، وأما الميزة الثانية فهي الشمول لكل أحوال الناس ومواقفهم الفردية والجماعية، وهذه الميزة تؤكد بوضوح أن كل نشاط أداه الشيخ مبارك الميلي هو دعوة في أوسع معانيها.

نقصد بالدعوة في هذه الورقة: كل نشاط قام به الشيخ مبارك الميلي من أجل التعريف بالإسلام، و الدفاع عنه، و إرشاد الناس إلى الالتزام به، وتوجيه سلوكاتهم وأقوالهم وفق ذلك، والنصح للأمة، سواء كان ذلك بالعمل أو القول.

1 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 2، ص 286.
2 - ابن منظور، لسان العرب، ج 14، ص 259.

2.2. تعريف المنهج:

لغة: المنهج والمنهاج يعني: الطريق الواضح، ونهج الطريق: أي أبانه وأوضحه، ونهجه أيضا: سلكه، ونهج الطريق: وضح واستبان، وسار نهجا واضحا بينا[1] والمنهاج: الطريق الواضح[2].

وفي القرآن الكريم: ﴿**لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾ (المائدة: 50)؛ أي طريقا واسعا واضحا في الدين.

التعريف الإجرائي: نقصد بالمنهج في هذه الورقة: كل الطرق والأساليب والخطوات الإجرائية المنتظمة، التي اعتمدها الشيخ مبارك الميلي، في التعريف بالإسلام، والدفاع عنه، وفي إرشاد الناس وتوجيههم، وفي نصح الشخصيات الفاعلة في المجتمع.

3.2 **تعريف الإصلاح:**

لغة: الإصلاح: ضد الفساد[3].

في الاصطلاح: يقول الإمام ابن باديس: "الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد، والإفساد هو إخراج الشيء عن حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه"[4].

التعريف الإجرائي: نقصد بالإصلاح في هذه الورقة البحثية: كل نشاط قام به الشيخ مبارك الميلي من أجل إصلاح النفوس والمجتمع وإعادتهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه من التوافق مع أحكام الدين وأعراف الأمة الجزائرية المسلمة.

3. حياة الشيخ مبارك الميلي

1.3. نشأة الشيخ مبارك الميلي وتعليمه:

هو مبارك بن محمد بن رابح بن علي، ولقبه ولقب أسرته هو إبراهيمي، أما أمه فهي تركية بنت أحمد بن فرحات، ولقبها ولقب أسرتها هو حمروش، أما الميلي فنسبة إلى مدينة الميلية، التي نشأ بأحد قراها في دوار أولاد مبارك، يقول الباحث علي دبوز: " أولاد مبارك: دوار تابع لبلدية السطارة•، من دائرة الميلية، ويضم دوار أولاد مبارك نحو عشر قرى منبثة في سفوح الجبال، ويبعد عن مدينة الميلية بنحو عشرين كيلومترا غرب الميلية، وتسكن أسرة الشيخ مبارك الميلي في قريتين من قرى أولاد مبارك هما: قرية ارمامن من ناحية موزال، التي ولد بها الشيخ، وهي الموطن الأصلي لأسرة الشيخ، أما القرية الثانية فهي قرية نسرين، التي تقطن بها أسرة الشيخ في فترة الخريف والشتاء من كل عام"[5].

1 - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 383.

2 - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج 2، ص 957.

3 - ابن منظور، لسان العرب، ج 2، ص 516.

4 - عمار الطالبي، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 3، ص 196.

• - هي الآن دائرة تابعة لولاية جيجل.

5 - علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج 3، ص ص 22-23.

ولد مبارك الميلي بقرية ارمامن في دوار أولاد مبارك، واختلفت الروايات في تحديد تاريخ ميلاده على ثلاثة أقوال:

- **القول الأول**: ولد سنة 1896م، وهو قول الشيخ أحمد حماني[1]، ولعل دليله هو إن بطاقة التعريف التي كان يحملها الشيخ مبارك تنص على أنه مولود في 23 ماي 1896م[2].

- **القول الثاني**: ولد سنة 1898م، وهو قول الباحث علي دبوز، ودليله في ذلك رواية شفوية مصدرها محمد الميلي ابن الشيخ مبارك الميلي.

- **القول الثالث**: ولد سنة 1897م، وهو قول الباحث عبد الكريم بوصفصاف، اعتمادا على سجل الحالة المدنية.

وتعد أسرة مبارك الميلي، أسرة عريقة ذات وجاهة بدوار أولاد مبارك، إذ كان عمه صالح بن علي "قايد" الدوار، وجده من أعيان الدوار[3].

كما أن وضع الأسرة الاقتصادي كان مريحا، إذ كانت تمتلك غابات وأراضي وثروة حيوانية، وهو عنوان الثراء في ذلك الوقت.

نشأ مبارك إبراهيمي الميلي في طفولته بدوار أولاد مبارك، ولما بلغ أربع سنوات توفى والده محمد، فكفله جده رابح، وهو رجل متدين غيور على دينه محبا للخير، وكان يمتهن الفلاحة، التي هي مهنة جل أفراد الأسرة بما فيهم والد مبارك، وعرف عن الجد رابح حبه لحفيده مبارك، إذ خصه بمكانة متميزة وأسهمه في ميراثه مع أعمامه في وصية له[4].

بدأ مبارك الميلي تعليمه في الكتاتيب كعادة أبناء الجزائر في تلك المرحلة، حيث حفظ القرآن وتعلم مبادئ الكتابة، وأتمّ ختم حفظ القرآن في حياة جده، وصار يعيده ليترسخ، متمنيا دخول إحدى زوايا المنطقة لإكمال دراسته، ويشاء الله تعالى أن يتوفى جده في البقاع المقدسة، أثناء تأديته لمناسك الحج (ويذكر أن جده حج ثلاث مرات وفي المرة الرابعة توفاه الله سبحانه وتعالى) وذلك حوالي سنة 1909م، ولم تتحقق أمنية جده في إدخاله إحدى زوايا المنطقة ليتعلم علوم الدين، فقد رحل وترك برحيله فراغا كبيرا، حاولت جدته الكريمة أن تملأ جانبا من هذا الفراغ، حيث كانت تحتفي به وتقيم له الولائم كلما أعاد حفظ شيئا من القرآن (ربع القرآن أو نصفه) وبعد إعادة حفظه واستظهاره أقامت له وليمة كبيرة دعي إليها الكثير من سكان المنطقة، وكانت جدته لأمه: السيدة حفصية بنت أحمد، تقيم هذه الولائم من مالها الخاص[5].

1 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 2، ص 14.
2 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص 97.
3 - علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج 3، ص 17.
4 - علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج 3، ص 32.
5 - علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج 3، ص 25.

وبعد وفاة جده كفله عمه الأكبر أحمد، ومعه عمه الأصغر علاوة، وبعد استظهار مبارك للقرآن وإتقان حفظه طلب من عمه السماح له بالتنقل إلى إحدى زوايا المنطقة لإتمام دراسته، كما هي أمنية جده، لكن طلبه جوبه بالرفض، وألزمه عمه بالتوجه إلى الرعي والفلاحة، وبقي على هاته الحالة أربع سنوات[1]، ثم استجمع أمره وقرر السفر إلى زاوية الحسين خلسة عن عمه، وهي زاوية تبعد عن دوار أولاد مبارك بحوالي 27 كيلومترا بالطريق الجبلي، وفعلا نفذ رغبته، وسافر إلى الزاوية، ولكن ما لبث أن علم به عمه فأرجعه، وصار يراقبه مراقبة شديدة، ومع هذا بقي الشوق يئن وعزيمته تزداد وأمله يكبر في الالتحاق بإحدى الزوايا وإكمال دراسته، فخطط مرة أخرى للسفر، وكان له ذلك؛ ففي يوم بارد قد غطى ثلجه المنطقة جميعا، بحيث دفع الناس للاختباء في منازلهم أمام المواقد[2]، فرّ الفتى مبارك شاقا طريقه نحو زاوية الشيخ الميلي بن معنصر بميلة هو الشيخ محمد بن الظريف بن معنصر الميلي• (أحد المشايخ المشهورين في ميلة، ومن تلاميذ عبد القادر المجاوي••)، أسس بميلة زاوية للتعليم و تحفيظ القرآن، اشتهر بأخلاقه العالية وكرمه الوفير، كانت له علاقة طيبة بالشيخ ابن باديس، توفى بميلة سنة1928م. والتي تبعد عن دوار أولاد مبارك بحوالي 35 كيلومترا، وانضم إلى هذه الزاوية متعلما، حيث وجد ضالته في حنان الشيخ بن معنصر وعلمه وتقواه، ولم يتمكن عمه هذه المرة من إرجاعه، فقد تمسك به الشيخ بن معنصر وتبناه في معهده، "وأتاح الله له أسرة بوالصوف الخيرة فكفلته في طعامه وضروراته الأخرى "[3].

وبعد التحاقه بمعهد الشيخ بن معنصر حوالي سنة 1912م، وعمره آنذاك حوالي خمس عشرة سنة، بدأت تتفتق موهبته، واتجه إلى العلم متفرغا، ناهلا من ينابيعه، حتى لاحظ شيخه بن معنصر تلك الهمة، مما ولد عاطفة حب وحنان نحوه، فقربه إليه وزوجه إحدى بناته .

وبقي في معهد بن معنصر- على ما يذكر علي دبوز[4] - حوالي 6 سنوات، وذلك إلى غاية 1918م.

ثم التحق مبارك الميلي بالجامع الأخضر•••، بطلب وتوجيه من الشيخ بن معنصر، الذي كانت تربطه بالشيخ عبد الحميد بن باديس علاقة طيبة[5]، فقد رأى أن من مصلحة مبارك الميلي التوجه إلى إلى الجامع الأخضر عرين باعث النهضة، لاستكمال طلب العلم، فأقام به حوالي سنتين ينهل من علم الإمام ابن باديس، ولما فكر ابن باديس في إرسال بعثة علمية إلى جامع الزيتونة، في خطة كان يعدها لخير مستقبل الجزائر، كان مبارك الميلي على رأس هذه البعثة، فواصل دراسته بجامع الزيتونة وعاد

1 - علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج 3، ص 37.
2 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص107.
• - ينظر ترجمته، في: محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج3 ص 48-49.
•• - أستاذ علماء قسنطينة ؛ تتلمذ عليه حمدان لونيسي شيخ الإمام ابن باديس.
3 - علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج 3، ص 71.
4 - علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م، ج 3، ص 73.
••• - المسجد الذي كان يدرس فيه الإمام ابن باديس رحمه الله تعالى.
5 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص 107.

سنة 1924م بشهادة التطويع.

ونشير إلى أنه من أساتذته بجامع الزيتونة[1]:

- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، درس عليه ثلاث سنوات في مادة الأدب العربي.
- الشيخ محمد النخلي القيرواني، درس عليه علم التفسير.
- الشيخ البشير صفر، درس عليه علم التاريخ.

وعلماء آخرون، فقد وفقه الله أن يدرس على نفس شيوخ الإمام ابن باديس، ونال شهادة التطويع في المرتبة الأولى، وكان مثار إعجاب واحترام شيوخه وزملائه، يقول عنه صديقه عبد الحفيظ الجناح: "وأذكر حينما زرته بتونس عام 1923م أيام دراسته، نادرة طريفة، وهي أنه يمر بنظرة على أوراق دروسه ثم يطويها في المحفظة، ولا يحملها وقت الدرس وبعد الفراغ من الدروس يوجه أسئلة غريبة على أساتذته، فيكبرونه ويندهش لها الحاضرون"[2].

2.3. مكانة الشيخ مبارك الميلي وآثاره العلمية:

الشيخ مبارك الميلي من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعضو مجلسها الإداري، وأمين ماليتها، ثم رئيس تحرير جريدتها البصائر، وما كان له أن يصل إلى هذه المناصب لو لا مكانته العلمية وفضله على كثير من أهل العلم في زمانه، وثقة العلماء فيه، وتقديرهم له خاصة وفيهم إمام النهضة ابن باديس صاحب الفراسة القوية والخبرة العالية بالرجال، حيث يصفه في أحد اجتماعات المجلس الإداري للجمعية بقوله :" هو المعلم بمدرسة ميلة والمدرس والإمام بمسجدها الحر، وهو مؤرخ الجزائر الذكي الفؤاد العميق النظر، الصائب التعليل، ومدعم الدعوة الإصلاحية الدينية برسالته الشرك ومظاهره، وأمين الجمعية من أول يومها، الذي خدمها بخبرته وأنفق عليها من ذاته رغم مرضه، وهو مدير جريدة الجمعية –البصائر–منذ السنة الماضية..."[3].

كما أنه تحمل أعباء تسيير جمعية العلماء بعد وفاة الإمام ابن باديس، حيث تم انتخاب الإبراهيمي رئيسا ومبارك نائبا له[4].

يكفيه أنه كان يعاد انتخابه في المجلس الإداري لجمعية العلماء بنفس عدد الأصوات التي كان يحصل عليها الإمام ابن باديس والإمام الإبراهيمي.

ثم إن الوظائف التي كانت تعهد إليه في جمعية العلماء كانت من أضخم الوظائف، وأكثرها حاجة إلى رجال أكفاء ذوو قوة وأمانة مثل وظيفة أمين مالية الجمعية، ورئيس تحرير مجلة البصائر لسان حال الجمعية.

1 - أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج 2، ص 14-15.
2 - عبد الحفيظ الجنان، أطوار من حياة الشيخ مبارك، البصائر، ع 27.
3 - عبد الحميد بن باديس، البصائر، ع144.
4 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة،ج2 ص 264.

يشير الباحث عمار بوحوش إلى جانب من هذه المكانة قائلا: "..واستعان عبد الحميد ابن باديس بالشيخ مبارك الميلي 1897-1945 الذي يعتبر بمثابة المفكر لجمعية العلماء، والذي تم تعيينه أمين مال جمعية العلماء، عند إنشائها يوم 05 ماي1931م، وبالإضافة إلى مساهمته الكبيرة في إنشاء مدرسة بالعربية في الأغواط، والتدريس بها من1927الى1933م، فإن الشيخ مبارك قد قام بنشر كتابه المشهور "تاريخ الجزائر في الحاضر والماضي "سنة 1929م وتصدى فيه للفرنسيين الذين كانوا يقولون أن الحضارة الرومانية قد أثرت في الجزائر وأن الإسلام جاء بالدين فقط ولم يأتي بأية حضارة، وكان لكتابه الذي نشر الجزء الأول منه سنة 1929م والجزء الثاني سنة 1932م، أثر كبير في نفوس الجزائريين الذين أقبلوا على قراءته بشغف كبير"[1].

وقد داع صيته في الأوساط العلمية خارج الجزائر، فقد كان الوحيد من الجزائريين الذين استشارتهم مجلة الرابطة العربية عن رأيه في إمكان إنشاء إمبراطورية عربية[2].

كما أن بعض كتبه ظلت تدرس في مناطق عدة من العالم الإسلامي[3].

أما كتاباته ومقالاته العلمية والأدبية، التي كتبها ونشرها في الصحافة أو طبعها ككتب فهي:

أولا: كتبه

1. تاريخ الجزائر في القديم والحديث: وهو أول كتاب يؤلفه جزائري باللغة العربية في العصر الحديث[4]، يقول أبو القاسم سعد الله:" فإن ظهور مبارك الميلي كأول مؤرخ جزائري حديث لم يكن محل استغراب، والميلي قد حاول أن يعيد كتابة تاريخ الجزائر على أساس وطني"[5].

هذا الكتاب ظهر في جزأين، وأصله من ثلاثة أجزاء، لم يكتمل الجزء الثالث منه.

كتب الجزء الأول (خصصه لتاريخ الجزائر في العهد القديم) وقدمه للطبع سنة 1927، وتأخر طبعه إلى أواخر سنة 1928م[6].

أما الجزء الثاني (خصصه للمغرب الإسلامي) فطبع سنة 1932م في شهر فيفري.

بينما الجزء الثالث والذي كان ينوي الشيخ مبارك تخصيصه للوجود العثماني بالجزائر فلم يكتمل، بحيث كتب منه عشرين صفحة، وصرفه عن إكماله مسؤولياته في الجمعية، ثم مرض السكري.

2. رسالة الشرك ومظاهره: أصل الكتاب مقالات كتبها في جريدة البصائر، ابتداءً من العدد الخامس بتاريخ جانفي 1936م وتوقف عن كتابة هذه المقالات في العدد الخامس والأربعين الصادر

1 -عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962م ، ص 249.
2 - مجموعة الشهاب لمنشئها عبد الحميد ابن باديس، مج12،ص ص 455-458.
3 - - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص ص 283-288.
4 - في: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1 ص27.
5 - علي بن الطاهر، مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية، ص163.
6 - ينظر محمد الميلي في مقدمة: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1 ص 27.

بتاريخ 27نوفمبر 1936م، تلبية لرغبة قراء البصائر في نشرها مستقلة في كتاب، حيث جاء في هذا العدد من محرر الجريدة ما يأتي: "هذا آخر ما كتب من هذا المقال، قبل اجتماع جمعية العلماء، وقد علمنا بعد هذا الاجتماع وقبله أيضا، أن كثيرا من القراء، يرغبون في نشر هذا الموضوع في رسالة مستقلة، ولما تأكدنا من هذه الرغبة عرضناها على محرر الموضوع فأجاب بالقبول وأنه ما زالت لديه فصول منه أمسك عن نشرها وسيعود (متى أمكن) إلى نشر في هذا الموضوع بالتهذيب والتبويب ثم يقدم ذلك للطبع إن شاء الله"[1].

وفعلا تم هذا الأمر وقدم للطبع تحت عنوان: رسالة الشرك ومظاهره.

ونشير إلى أن هذه الرسالة اعتمدت كماد ة تدرس بالمعاهد العليا بالجزائر قبل الاستقلال، كما تقرر تدريسها بثانوية "لوكارنو" بتونس، وتم نشرها وتوزيعها بكل من السعودية ومصر والأردن والسودان.

ثانيا: مقالاته

مقالاته التي نشرها بالصحف تعدت الخمسين مقالة منها مقالات شكلت عدة حلقات، ونذكر فيما يلي بعض عناوين مقالاته:

- العقل الجزائري في خطر!! [2].
- الإصلاح وحاجتنا إليه[3].
- الملوكية ضمن الجمهورية[4].
- هل نحن في بداية نهضة؟[5]
- المصلحون والمرجفون[6].
- حول عنوان هذه جزائركم تحتضر[7].
- العدالة بآثارها[8].
- المؤتمر الإسلامي العام للخلافة[9].
- الأدب الجزائري يبعث من مرقده[10].
- ابن ملجم القرن العشرين[11].

1 - مجموعة جريدة البصائر، مج1 ص 364.
2 - مبارك الميلي، المنتقد، ع6، ص 1.
3 - مبارك الميلي، مجلة الإصلاح، ع5، ص1.
4 - مبارك الميلي، المنتقد، ع3، ص 1.
5 - مبارك الميلي، المنتقد، ع10، ص 1.
6 - مبارك الميلي، المنتقد، ع14، ص 1.
7 - مبارك الميلي، المنتقد، ع18، ص 1.
8 - مجموعة الشهاب، مج 1 ص 68-71.
9 - مجموعة الشهاب، مج 1 ص 440-442.
10 - مجموعة الشهاب، مج 2 ص 805-807.
11 - مجموعة الشهاب، مج 2 ص 702-706.

- حول ثرثرة الحافظي[1].
- الاتحاد والاندماج[2].
- تعليم المرأة الكتابة[3].

وغيرها من المقالات.

3.3. وفاة الشيخ مبارك الميلي:

رحل مبارك الميلي في الأربعينات من العمر، وفي قمة عطائه العلمي والفكري، وذلك بعد أن أضناه الكلل من مرض السكري الذي أصابه مباشرة بعد خروجه من الأغواط، واستفحل أمره حتى استحال إلى عدة أمراض أخرى أخبثها مرض السرطان .

يقول عن نفسه: "فأما اشتداد المرض فهو في سنة 1936م، في جولة كلفتني الجمعية بها، ورأى من رأى من رجالها أن تعينني على العلاج، فطلب ذلك وقرر، ولم أعلم لا بالطلب ولا بالقرار إلا بعد حين، فلما علمت أنكرت"[4].

ومع مطلع الأربعينات ازدادت حالته سوءا، لتتأزم أكثر فأكثر مع منتصف الأربعينات، ويذكر أحمد حماني رحمه الله تعالى حادثة وفاة الشيخ مبارك قائلا: "وفي يوم 8 فبراير1945م دخلت إلى مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، فوجدت الدكتور بن الموفق رحمه الله نازلا في درجها، ووجهه مكفهر، ويكاد دمعه يسيل، فصعدت مسرعا، ولقيت الأخ محمد صالح بن معنصر فبادرته بالسؤال: ما الخبر؟ فقال: إن الشيخ مبارك في خطر، ففزعت ودخلت الإدارة حيث يوجد فوجدته ملقى على جنبه يكاد لا يتحرك فاقتربت منه وسلمت عليه فنظر إلي ومد نحوي يده بضعف وقال: سامحني، وكانت آخر كلمة سمعتها منه فإنه أخذ إلى ميلة و دخل في غيبوبة، ومن الغد يوم 09 فبراير تلقيت مكالمة من إدارة البريد من قسنطينة من الأستاذ محمود دمق -الذي كان عاملا بها- فأخبرني أنه مرّ عليه تلغراف يخبر بوفاة الشيخ مبارك... ثم بعد قليل رن جرس الهاتف فإذا بالذي يتكلم هو الكابتن" دو" الضابط المدير للشؤون الإسلامية بالولاية يتساءل أحقا أن الشيخ مبارك مات؟ وشيعت جنازته من الغد بحضور آلاف عديدة وردوا من سائر الجهات.." [5].

وتصف جريدة النجاح اليومية تشييع جنازته :"قبيل زوال يوم الجمعة 09 فبراير 1945م بمقبرة ميلة سار إلى رحمة الله العلامة المؤرخ الأستاذ مبارك بن محمد إبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إثر مرض لازمه شهورا، وعن سن ناهزت 48عاما، وما كان خبر نعيه ينشر في أكبر بلدان العمالة (الولاية) حتى هرعت لتشييع جنازته وفود كثيرة، وصلى على جثمانه بالجامع الشيخ

1 - مجموعة الشهاب، مج 3 ص 219-326.
2 - مجموعة الشهاب، مج 4 ص 54-59.
3 - مجموعة الشهاب، مج 12 ص 295-305.
4 - مبارك الميلي، جريدة البصائر، ع144.
5 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة ، ج2 ص 17-18.

العربي التبسي الذي أبنه وعدد محاسنه، وحسب نفس المصدر، فقد حضر الجنازة عدد هام من العلماء، ورثاه بالمقبرة الشيخ بن ياجور والشيخ الجيلالي، ومسيو فلويس (نائب بلدي) والسيد فرحات عباس باسم الهيئات الوطنية، ويضيف المصدر أن سيارة الأستاذ الإبراهيمي والشيخ خيرالدين وفرحات الدراجي وعبد العزيز الهاشمي وصلت ميلة الساعة العاشرة ليلا، وفي اليوم التالي توجه الوفد مع سائر سكان البلدة إلى ضريح الفقيد، وهناك أبنه الأستاذ البشير الإبراهيمي بخطاب نفيس أثر في نفوس الحاضرين تأثرا عميقا، مما جاء فيه :"وفقد بفقده عالما كانت تستضيء برأيه في المشكلات فلا يرى الرأي في معضلة إلا جاء مثل فلق الصبح "[1].

وقد أعدت مجلة جمعية العلماء (البصائر) بعد ثلاث سنوات من وفاته ملفا كاملا عن الشيخ مبارك كتب فيه كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والشعراء... ومما جاء في مقال العلامة محمد البشير الإبراهيمي: "حياة كلها جد وعمل، وحي كله فكر وعلم، وعمر كله درس و تحصيل، وشباب كله تلق واستفادة، وكهولة كلها إنتاج وإفادة، ونفس كلها ضمير وواجب، وروح كلها ذكاء، وعقل كله رأي وبصيرة، وبصيرة كلها نور وإشراق، ومجموعة خلال سديدة، وأعمال مفيدة، قلّ أن اجتمعت في رجل من رجال النهضات، فإذا اجتمعت هيأت لصاحبها مكانة من قيادة الجيل، ومهدت له مقعده من زعامة النهضة.

ذلكم هو مبارك الميلي الذي فقدته الجزائر من ثلاث سنين، ففقدت بفقده مؤرخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور، وإنارة جوانبه المظلمة، ووصل عراه المنفصمة، وفقدته المحافل الإصلاحية ففقدت منه عالما بالسلفية الحقة عاملا بها، صحيح الإدراك لفقه الكتاب والسنة، واسع الاطلاع على النصوص والفهوم، دقيق الفهم لها والتمييز بينها والتطبيق لكلياتها، وفقدته دواوين الكتابة، ففقدت كاتبا فحل الأسلوب، جزل العبارة لبقا بتوزيع الألفاظ على المعاني، طبقة ممتازة في دقة التصوير والإحاطة بالأطراف وضبط الموضوع والملك لعنانه، وفقدته مجالس النظر والرأي ففقدت مدرها لا يبارى في سوق الحجة، و حضور البديهة، و سداد الرمية والصلابة في الحق والوقوف عند حدوده، وفقدته جمعية العلماء ففقدت ركنا باذخا من أركانها، لا كلا ولا وكلا، بل نهاضا بالعبء مطلعا بما حمل من واجب، لا تؤتى الجمعية من الثغر الذي تكل إليه سده، ولا تخشى الخصم الذي تسند إليه مراسه، وفقدت بفقده علما كانت تستضيء برأيه في المشكلات فلا يرى الرأي إلا جاء مثل فلق الصبح..." [2].

4. منهج الشيخ مبارك الميلي في الدعوة والإصلاح

العلماء هم أعرف الناس بمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، وقد قص علينا القرآن الكريم، من قصص الأنبياء، وضمه من الأحكام والعبر والأساليب الدعوية، ما مكنهم من معرفة ما يصلح لحال دون حال ولوقت دون وقت، وقد كان مبارك من العلماء العاملين المستوعبين لفقه الدعوة إلى الله، نلحظ ذلك جليا في حكمة مواقفه، وقدرته على التحكم فيها، وابتعاده عن العشوائية والارتجالية،

1 - علي بن الطاهر، مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية، ص ص 68-69.

2 - محمد البشير الإبراهيمي، جريدة البصائر، السلسلة الثانية، ع 26.

وسنعمد بالحديث في هذه النقطة، لبيان أهم الأساليب والمناهج التي اعتمدها الشيخ خلال مسيرته الدعوية:

1.4. اعتماده العمل على محور التربية والتعليم والتوعية والإرشاد:

رغم ما يتطلبه هذا المحور من التخطيط البعيد، وقوة الصبر على طول الطريق ومشاقه، وأدلة ذلك:

أ- أن وظيفة التعليم بالمدارس، والتدريس والتوعية والإرشاد بالمساجد قد شغلت الجانب الأول من وظائفه بدليل:

- تدريسه بمسجد ميلة مباشرة بعد رجوعه من الزيتونة، كما يذكر الشيخ محمد الصالح بن عتيق[1].

- توجهه بعد سنة من رجوعه من الزيتونة، إلى قسنطينة للتدريس والتعليم بالمكتب العربي "سيدي بومعزة" وقد رحبت جريدة النجاح اليومية في أخبارها المحلية باستدعاء مبارك الميلي وكتبت : "وبما نعلم من حضرة الشيخ مبارك من الاطلاع على الأساليب التعليمية، وحسبنا أنه من متطوعي الجامع الأعظم بتونس، فإنا نتحقق أنه سيهدي للأمة شبيبة ذكية صالحة "[2] ، حيث مكث يدرس به حوالي 14شهرا.

- توجهه إلى الأغواط للتدريس بمدرستها الجديدة (مدرسة الشبيبة)، حيث مكث بها حوالي 8سنوات.

- رجوعه إلى ميلة للتدريس بها في مدرسة الحياة التي أسسها مباشرة بعد رجوعه من الأغواط.

- تدريسه بمساجد الأغواط، حيث كان يقيم خمسة ليال وعظ وإرشاد ودروس عامة في الأسبوع .

- وكذلك بميلة بعد عودته من الأغواط .

ب- كما إنه لم يشتغل بغير التعليم والتدريس بالمساجد، والكتابة في الصحافة، إذ كان يعارض بشدة العمل الحزبي، أو السياسة بمصطلحه♦، وقد عبر عن ذلك في جواب له عن سؤال كان قد وجهته له مجلة الرابطة العربية، عن إمكان إنشاء إمبراطورية عربية ؟ وفي السؤال إيحاء إلى منهج الإصلاح والتغيير لحالة العالم العربي والإسلامي، فأجابها بعد المقدمة إلى إنه يرى: أن لا يمس العالم العربي الحاضر من الوجهة السياسية بأدنى تغيير، وكل محاولة لتغييره مخاطرة وبيلة، لا يتناولها لفظ البناء، ولكنها تدخل في معنى الهدم، وأضاف يقول: وليس إنشاء المعاهدات والتحالفات بين دول العالم

1 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص ص 338-339.

2 - علي بن الطاهر، مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية، ص 137.

♦ - مبارك الميلي وإن لم يتحزب إلا أنه مارس السياسة بمفهومها الشرعي من خلال كتاباته ومواقفه، فقد أبدى مواقف وآراء في مختلف القضايا السياسية التي طرحت في زمانه (الاندماج، التجنس، التحزب..) وقد ضم كتابه تاريخ الجزائر آراء سياسية كثيرة، حتى طغى ذلك على أكاديمية الكتاب، وله مقالات كثيرة في السياسة، مثل: الملوكية ضمن الجمهورية، العقل الجزائري في خطر، كما أنه أبدى مواقف كثيرة ضد مترشحي الانتخابات، وكذلك ضد زعيم سياسي كبير، وذلك سنة 1933م وبقي على موقفه منه إلى أن مات وأثبتت الأيام صدق موقفه منه.

العربي، من تغيير الوضع السياسي الذي أحذره وأحذر منه، كما أنها ليست من إنشاء الإمبراطورية العربية في شيء ...واجب الصحافة الصادقة وأهل الرأي، هو العمل المنظم لتوحيد العالم العربي في كل مظاهره الحيوية، وتنمية الروابط بين شعوبه، وتجنب توحيده سياسيا، فإن الحياة السياسية أراها في وضعنا الحاضر نتيجة لا مقدمة.

2.4. تفضيله العمل المؤسساتي على العمل الفردي:

إذ كان بإمكانه الاعتماد على جهده الخاص، وتوظيف إمكاناته الفردية في الدعوة، عبر المساجد فقط، لكن إدراكه لأهمية العمل الجماعي، وثماره الكبيرة جعله ينخرط بكل ثقله فيه، ويثابر ويتفانى في الحفاظ عليه، ضمن أطره ومؤسساته.

فقد ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وظل ينشط تحت لوائها حتى توفاه الله تعالى، وحمل مشعلها بعد وفاة الإمام ابن باديس، حيث كان الإمام الإبراهيمي في معتقله بآفلو، ولم يرضخ لمحاولة الاستعمار تدجين الجمعية عن طريق فرض خليفة ترضى عنه، فأبى ذلك ورد عليهم بأن انتخاب الرئيس من صلاحيات المكتب، ولا يمكن اجتماع المكتب ورئيس الجمعية الإبراهيمي_ في المنفى[1]، و بذلك فوت على الاستعمار خطته، ونجح في الحفاظ على مكسب العمل المؤسساتي المنظم.

3.4. استغلاله لكل الوسائل المتاحة لخدمة مبادئه ودينه:

سواء كانت وسائل قديمة (تقليدية) أو وسائل حديثة؛ فقد استعمل المساجد، والنوادي، والجرائد، والجمعيات، والرحلات الدعوية، والتأليف ...حيث استوعب جل وسائل عصره المتاحة لإبلاغ دعوته ومبادئه .

4.4. توظيفه لقدراته الفكرية وخبراته العلمية في خدمة مبادئه ودينه:

فقد أحدث منهجا جديدا في مدارس التعليم التي أشرف عليها، وسنتحدث عن جانب من هذه الخبرات عند حديثنا عن الصفة الثامنة من صفاته كداعية، ونذكر إنه وَظّف مؤسسات التربية والتعليم في تبصير النشء بمبادئ دينه، ونشر الوعي في أوساطهم، من خلال تدريسه لمادة تاريخ الجزائر

5.4. انتهاج أسلوب الحكمة في الرد على المخالفين:

سواء في الكتابة أو أثناء الدروس والمحاضرات أو حتى أثناء المناقشات والمسامرات اليومية في الأماكن العامة والخاصة، فقد كان أسلوبه في الكتابة يتسم بالدقة في اختيار الكلمات، وبالموضوعية في معالجة القضايا والمسائل المطروحة، ومن أدلة هذا:

-المناقشة العلمية التي جرت بينه وبين الشيخ أبي يعلى الزواوي (من علماء جمعية العلماء، أمازيغي من قبيلة زواوى المشهورة ببلاد المغرب الكبير) حول لفظة الغفارة هل هي عربية الأصل أو أمازيغية؟ حيث قدم الشيخ مبارك أدلة قوية تفيد أنها عربية، وشكر الشيخ الزواوي لأنه أفاده بوجودها في

1 - علي بن الطاهر، مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية.

اللسان الأمازيغي .

-تقريره لهذا الأصل في وجوب التخلي عن البداءة في الرد على المخالفين، وذلك في مقالة وضح فيها رأي علماء جمعية العلماء في أسلوب الرد على المخالفين، وذلك بعد أن حمى وطيس الحرب الصحفية بين الطرقيين وبعض الشباب المدافع عن الإصلاح، ومما جاء فيه: "..وكم لهم في الأوطان المنحطة من أشباه –يرد على أسلوب الطرقية ويصفه بأنه أسلوب محدث-، ولكنهم أحدثوا سلاحا لا أنكر منه في الدين ولا أقدر منه في الدنيا ولا أضر منه على الآداب، ولا أفسد منه للمجتمع، هذا السلاح هو الهجر والفحش، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ...وفي اجتماع شوال نظر أعضاء الإدارة في موقفهم بين تهييج المخرطين، وتهييج الموالين، فغلبوا العقل على العاطفة، وقدسوا حق الآداب العامة على حقهم، وأصدروا قرار 13شوال بالإعراض عما يوجه إليهم، من سباب وسفه، وشغب وشتائم وقذف، فلم يزد هذا القرار، الذي أذيع بالصحف العربية، أولئك المفسدين إلا تهييجا، ولم يطق الموالون لنا الصبر على موالاة هجوم المهيجين، ولم يستشيرونا - يعني الشباب الذي رد على الطرقيين باستخدام أسلوبهم في الكتابة - في الدفاع عنا بل في الدفاع عن أنفسهم، فأصدروا جريدة باسم الجحيم، لتقاوم جريدة المعيار وتخاطبها باللغة التي استحسنتها، وإننا نعلن براءتنا من الجريدتين وسخطنا على خطتهما، واستياءنا من لغتهما، وعدم تحملنا لتبعة نتائجهما، وإذا كنا نرى أن البادئ أظلم ونعلم أن العرب تقول: المرء مقتول بما قتل؛ إن سيفا فسيف وإن خنجرا فخنجر، فإن الشارع منع المقتص من استعمال بعض الأسلحة التي يستعملها الجاني "[1].

6.4. توظيفه لعلاقاته الشخصية في خدمة دينه وأمته ومبادئه الإصلاحية:

حيث أسس النادي الإسلامي بالمنزل الذي أهداه إياه أحد الخيرين من رجال الإصلاح، كما تولى في مناسبات جمع التبرعات المالية لتأسيس المدارس؛ فقد تولى جمع التبرعات لتأسيس مدرسة حياة الشباب بميلة سنة 1936م.

7.4. حسن تنظيمه لوقته وتوظيفه في خدمة الدعوة :

مما مكنه رحمه الله، رغم قصر عمره، من ترك أثر كبير، وبصمات واضحة، في مستقبل الجزائر، فقد عاش 48 سنة لكن جهوده وآثاره العلمية تقارن بمن عاش ضعف هذا العمر.

8.4. مراعاته لمصلحة الدعوة قبل مصلحته:

والأمثلة على هذا كثيرة؛ فقد تنقل إلى الأغواط للتدريس بها، رغم بعد المسافة، وفراق الأهل والأصدقاء، وحرارة مناخها، وهو الرجل الذي تعود على رطوبة الجو واعتداله بمسقط رأسه، ومن الصعب على رجال الشمال وخاصة المناطق الساحلية العيش بالمدن الصحراوية الحارة.

ومن الأمثلة كذلك موقفه الحكيم، وسياسته الرشيدة، في الاحتياط من توريط جمعية العلماء في

1 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2 ص ص 264-265.

متاهات قد تضرها، وذلك من خلال مداراته للسلطة الاستعمارية، في بعض المواقف التي تتطلب ذلك، حيث كتب في مقال الاتحاد والاندماج بعد أن حمل على دعاة الاندماج بشدة، كتب يقول: أن سياسة الاندماج "تضر فرنسا خارجيا، حيث أن الأمم التي تبلغها أن فرنسا تسعى لسلخ أمة تحت تصرفها من دينها وجنسيتها لا تذكرها إلا بأقبح الذكر"[1].

9.4. اعتماده لأسلوب تربوي حكيم مع التلاميذ:

لعلمه أن ذلك من القدوة، ومن التعليم بالفعل لا بالقول فقط؛ حيث لخص أسلوبه في معاملة التلاميذ بكلمات قصيرات، كان قد أرسلها إلى الشيخ العربي التبسي كرد منه على رسالة بعثها إليه الشيخ التبسي يستوضح فيها عن أسلوب الشيخ الميلي في معاملة التلاميذ، مما جاء فيها: "...إذا وعدت فأنجز، وإذا أوعدت، فتغافل، وإذا ذكرك أحد التلاميذ بالوعيد، فنفذه، مع إظهار كراهيتك لمن ذكرك"[2].

وقد ذكر ابنه محمد مواقف كثيرة تعامل فيها معه بأسلوب غير معهود لدى الجزائريين، إلا عند الخاصة من العلماء والمربين[3]، يقول محمد الميلي: "أما تربيته لنا فكانت تعتمد غالبا على الموعظة وشرح مضار المنهي عنه ومنافع المأمور به، لم يكن يستعمل معي الضرب إلا في حالة واحدة وهي ترك الصلاة، كان الضرب الذي يبدو لي آنذاك مبرحا عبارة عن خمس جلدات بالعصا على باطن قدمي. لكنها ضربات خمس موجعة، وكان يحرص إثر كل عقاب على أن يطلب مني إحضار كراسة صغيرة كان اشتراها خصيصا لأسجل فيها أصناف العقوبات التي يوقعها بي بداية أكتب اليوم والتاريخ ثم أكتب تحت إملائه سبب العقوبة ونوع العقاب"[4].

ويمكن إجمال عقوباته حسب الأحداث التي رواها ابنه في ما يلي:

- الضرب ويقع ناذرا منه، وبأسلوب وكيفية متحضرة.
- التوبيخ، عدم المكافئة، الحبس في البيت وعدم السماح له بالخروج، عدم تلبية طلب ...وهي عقوبات ليس فيها شيء من الهمجية والغضب والانتقام المعهود عند كثير من الآباء والمدرسين في الجزائر خاصة في تلك الفترة .

10.4. مراعاته لواقع المجتمع:

لا نعني بمراعاته لواقع المجتمع خضوعه له، فهذا مما حاربه الشيخ، فقد كتب يرد على أولئك الذين يخضعون للعامة، ناكرا صنيعهم، حاثا العلماء القضاء على هذه الظاهرة، ظاهرة الخضوع للعامة: "وإن في تأسيس جمعية العلماء للقضاء على ظاهرتين من أدل الدلائل ،على فساد تربيتنا:

1 - مبارك الميلي، جريدة السنة المحمدية، ع2، ص ص 4-5.
2 - مجموعة الشهاب، مج 4 ص 59.
3 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص 83.
4 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص 83.

أحدهما: ما كان عليه أغلب علمائنا من التحاسد والشقاق، حتى أن البلدة الواحدة، تجدها منشقة إلى حزبين إن كان بها عالمان، أو إلى ثلاثة إن كان بها ثلاثة وهلم جرا .

الظاهرة الثانية: ظاهرة الخضوع للعامة، وطلب رضاها، للطمع في مالها، فأهملت وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي لا حياة للتربية بدونها، وأصبح الغش من دلائل الكياسة وحسن السياسة، وفشت قاعدة إذا وجدت قوما يعبدون حمارا، فعليك بكثرة الحشيش، وكان من يحفظ هذه القاعدة أكثر كثيرا ممن يسمع حديث "الدين النصيحة ".

وأملنا وطيد وثقتنا بالله قوية أن يتم القضاء على هاتين الظاهرتين، بسلامة الجمعية من كيد الكائدين، وبطول حياتها لإحياء سنن الدين"[1].

وإنما نقصد بمراعات الواقع، حساب معادلته عند التخطيط للأعمال الدعوية، فلا يمكن مخاطبة العامة بمثل ما نخاطب به النخبة، وهكذا..

وقد راعى مبارك الميلي الواقع الجزائري، وهو يؤدي دوره في توعيته وإرشاده، ونمثل لذلك بما يأتي:

- اهتمامه بالجانب العقدي، تصحيحا للانحرافات، وتقويما للاعوجاج الذي ما فتئت الطرقية تقيمه وتنشره وتدعو إليه، فقد عمت خرافاتهم وادعاءاتهم وممارساتهم الخاطئة، وأصبحت هي الإسلام، فتحول الإسلام إلى شعوذة ودروشة، وتحول الجزائريون إلى مريدين، وهو ما فتح الباب، لتصحيح هذا الواقع وأخذه بعين الاعتبار، عند التخطيط للإصلاح، وقد سعى الميلي لتغطية هذا الجانب، وتصحيح أخطائه، فألف رسالة الشرك ومظاهره، وسعى بأعماله ومواقفه، واتصالاته بالناس إلى محاربة هذا الواقع وإصلاحه، يقول مولود سعادة: "لم يكن التجديد في مجال العقيدة، فكرة عرضية ولا عفوية عند الشيخ مبارك الميلي، وإنما مقصودا بوعي، ومبررا بواقع، ومؤصلا في السنة "[2]

- كذلك التفاته للجانب الفكري، بهدف تقوية شخصية الأمة، وإحياء مقوماتها وثوابتها، وربطها بماضيها، من خلال مقالاته الصحفية، وكذا كتابه تاريخ الجزائر، ودروسه للتلاميذ .

- مراعاته لحالة الأمة والمجتمع (استعمار، تخلف، أمية)، فقد وضع في خطته هذه المعاملات الثلاث، وحسب حسابها.

5. صفات الشيخ مبارك الميلي كداعية

العلماء ورثة الأنبياء، وحياتهم مليئة بالعبر والمواعظ والفوائد، التي يتزود منها الخلف، ويتعلم منها الجاهل، ويستفيد منها العلماء اللاحقون، ويرجع إليها الدعاة، ونحسب أن الشيخ مبارك هو واحد من العلماء الربانيين الذين شقوا طريقهم في الدعوة إلى الله، على نهج الأنبياء والصالحين من بعدهم، فحق أن يكون مدرسة دعوية، يقتدى به كداعية؛ استوعب الصفات المثلى للداعية إلى الله، واختط

1 - مبارك الميلي، التقرير المالي عن السنة الثانية ،ع2، ص 1-2.

2 - مولود سعادة، إسهامات الشيخ مبارك الميلي في الفكر العقدي الإسلامي، ع 1، ص133.

نهجا رائدا في عمله الدعوي الإصلاحي، وسنحاول في هذه الدراسة الحديث عن صفات الشيخ، التي أهلته أن يكون داعية من المستوى الأول، كما سنتحدث عن منهجه وأسلوبه في الدعوة والإصلاح وتغيير المنكر.

1.5. علو الهمة:

فقد كانت همة الشيخ عالية، تطلب المعالي، ولا تبالي بالصعاب، مكنته هذه الإرادة وهذه الهمة العالية، من أن يتخطى كل الصعاب التي حالت دون طلبه العلم، فوفقه الله وأكمل دراسته حتى نال شهادة التطويع، وهي أعلى شهادة تمنح في ذلك الوقت من جامعة تدرس العلوم الإسلامية، وبعد إكماله لدراسته في المرتبة الأولى، انطلق في الدعوة إلى الله وفي تغيير المنكر، غير مكترث بما يلحقه من الأذى، حتى تبوأ مكانة كبيرة ضمن رجال الإصلاح وقادة التغيير بالجزائر.

كما إنه أول جزائري كتب تاريخ الجزائر بالعربية، وأول من أدخل نظام تحديد مدة الدراسة في المرحلة الابتدائية بخمس سنوات، وأول من أدرج مادة تاريخ الجزائر كمادة مستقلة بعد أن كانت تدرس مجزأة ضمن مادة التاريخ الإسلامي.

2.5. الثبات على المبدأ والجهر به:

وهي صفة بارزة في أعمال ومواقف الشيخ، نستشفها من خلال الأمثلة الآتية:

المثال الأول: تحيزه منذ وقت مبكر من حياته إلى الإصلاح وعلمائه، وثبت على ذلك رغم علمه بمكائد الأعداء ووعرة الطريق.

حيث كتب مقالا عنوانه :الإصلاح وحاجتنا إليه[1] ، وذلك سنة 1929م، وقد كان عمره آنذاك حوالي 32سنة، وضح فيه منهجه في الإصلاح والدعوة والتغيير؛ بدأه بتعريف الإصلاح وأنه: نبذ الفاسد من العقائد والعوائد، وإرشاد إلى ما هو صالح منها ليؤخذ، أو هو الجهد المبذول في انتقاء ما هو صالح، ثم حدد هدفه، وحكمه، وموضوعه، وشروط القائم بالإصلاح، ووسائل الإصلاح، وضرورته الواقعية.

فيرى أن حكم الإصلاح الوجوب على من له في المجتمع سيرة دينية من علماء وزعماء، فواجب العلماء الدعوة والإرشاد في نزاهة وإخلاص، وواجب الزعماء الانقياد والتأييد والتنفيذ في سلامة صدر و انشراح بال، والتقاعس عن هذا الإصلاح معوقة في الدنيا وشقاوة في الآخرة.

أما القائم بالإصلاح فهم مجموعة العلماء والمرشدين الأكفاء.

وأما موضوعه فهو المجتمع بكل مناحي الحياة فيه من دينية، وعلمية، واقتصادية، وسياسية، وذلك لأن الحياة الاجتماعية، شبيهة بالحياة الفردية، من حيث عرض العلل لها وحاجتها إلى العلاج.

وأما وسائله، فيرى أنها متعددة منها القديم والحديث، فمن وسائله: التدريس، ومنها خطب

1 - نشر بمجلة الإصلاح لمنشئها الشيخ الطيب العقبي ، ع 5 ، ص1.

الجمعة، والمحاضرات، والمسامرات بالتجمعات والنوادي، ومنها النشر والكتابة.

المثال الثاني: الجهر بموقفه من تعليم المرأة الكتابة، وذلك في مقال كتبه بالشهاب، تحت عنوان: تعليم المرأة الكتابة[1]، حيث بدأ هذا المقال بوصف القضية وجذورها، فقال: "ولما أخذت حركة تأسيس المدارس في الانتشار ظهرت مشكلة من يعمرها من النشء، فقال فريق نعمرها بالبنين والبنات، وقال آخرون بالبنين دون البنات، ولا يكاد يخلو مجلس من مجالس أركان الإصلاح التي يذكر فيها التعليم من الحديث في هذه النقطة نقطة إدخال البنات المكاتب، وإفضاء كل برأيه ونظره فيها ".

ثم ناقش أدلة كل فريق وخلص إلى بيان رأيه المستند إلى الدليل والحجة فقال: "ونحن نرى ما يراه الفريق الأول "أي جواز تعميرها بالبنين والبنات، ويختم مقاله بدعوة أولياء البنات بتعليم بناتهم قائلا: "وإذا انتهينا من بيان حكم تعليم الكتابة للبنت وأثبتنا أنها كالابن في ذلك لم يبق إلا أن ننصح المسلمين بتعليم أبنائهم ،وبناتهم، العلم النافع، ونجاح التعليم في عصرنا متوقف على الكتابة، فالعلم مقصد والكتابة وسيلة لازمة له اليوم".

المثال الثالث: الجهر بموقفه من الاندماج والتجنس، حيث كتب مقالا تحت عنوان: الاتحاد والاندماج[2]، بيّن فيه رفضه المطلق لأصحاب فكرة الإدماج، إذ رغم بطش الاستعمار وكيده رفض الشيخ أن يساوم في هذه القضية، وقال كلمة رفعت شعارا في ذلك الوقت: "سياسة الاندماج هي القبر الذي لا نشر بعده "[3].

وهناك أمثلة أخرى كثيرة جهر فيها الشيخ بموقفه وثبت عليه (موقفه من الطرقية والطرقيين، موقفه من تدخل الاستعمار في شؤون الجمعية، خاصة بعد وفاة الإمام ابن باديس، حيث أراد الاستعمار فرض شخصية معينة كخليفة للإمام ابن باديس، فرفض مبارك الميلي بقوة اقتراح الإدارة الفرنسية.

3.5. الصبر على تحمل مشاق الطريق:

نلحظ ذلك من خلال صبره على:

- تعلم علوم الدين، حيث مرّ بأربع مراحل؛ ثلاثة منها على الأقل جاءت برغبة نفسية منه، وصبر على طريقها، رغم البعد عن الأهل والوطن.

- كذلك الصبر على تعليم الناس دينهم، وتصحيح انحرافاتهم، يكفيه أنه كان يدرس من الساعة الثامنة إلى الحادية عشر، ومن الثانية إلى الرابعة، إضافة إلى دروسه الليلية بالمساجد، ووظيفته في الجمعية، وكتاباته في الصحافة، وردوده على فتاوى الناس، وتتبعه لأخبار الوطن والعالم الإسلامي، ودوره في البيت، وكذا رحلاته الدعوية بين الولايات.

1 - ينظر: مجموعة الشهاب، مج 12، ص ص 295-305.
2 - ينظر: مجموعة الشهاب ، مج 4، ص ص 54-59.
3 - مجموعة الشهاب، مج 4 ، ص ص 54-59.

- كذلك الصبر في تحمل أعبائه ومسؤولياته في الجمعية ،رغم مرضه الشديد.

4.5. المثابرة والتفاني في خدمة الدين:

حيث تحمل مسؤوليات عدة في أوقات عصيبة جدا ؛فقد تحمل مسؤولية أمين مال الجمعية من أول يومها، وهي مسؤولية صعبة في جمعية ناشئة محاصرة من الاستعمار الفرنسي ومن أعداء الإصلاح.

- كذلك تحمل التدريس بمكتب سيدي بومعزة في ظروف صعبة جدا.

- كذلك تحمل إدارة جريدة البصائر في ظروف كذلك صعبة (قضية الشيخ الطيب العقبي).

- كذلك تحمل الكتابة والتأليف في جانبين خطيرين، قلّ من كتب فيهما معا في ظرف اتسم بالعداء الشديد ضد من يلج فيهما كتابة أو حديثا وهما:

- تاريخ الجزائر؛ في وقت كان فيه بعض المثقفين يتساءل عن وجود الأمة الجزائرية في التاريخ.
- والجانب الثاني، في الشرك ومظاهره، وهو جانب يزلزل عروش الطرقية.

- كذلك نشاطه الدعوي في المساجد، والنوادي، إضافة إلى رحلاته الدعوية، رغم علمه بمكائد الطرقية، وتشويشهم على رجال الإصلاح، بل وحتى التخطيط لاغتيالهم، فقد كان يتنقل عبر القرى، والمدن القريبة من مكان استقراره، حيث كان يتنقل –وهو بالأغواط- إلى الجلفة، والقرى التي تقع شمال الأغواط، وإلى بوسعادة والقرى المجاورة لها، وإلى آفلو وما جاورها.

وحين استقر بميلة كان يتنقل بين قراها والحواضر المجاورة لها، من جيجل إلى سطيف، وقد نشر في بعض جرائد جمعية العلماء، مقالات وصف من خلالها، ما تم من أعمال في تلك الرحلات، فنقرأ مثلا في البصائر مقالا تحت عنوان: تفقد الشعب: حياة الإصلاح في البلدان التي زرناها، وصف فيه رحلته إلى ولاية جيجل[1].

5.5. التعاون والتكامل:

فقد كانت جهوده تعاونية تكاملية مع غيره، حيث ساهم بكتاباته في صحف إخوانه العلماء، قبل تأسيس جمعية العلماء، تدعيما لهم ومؤازرة لمواقفهم. فكتب في البرق للزاهري، وفي الإصلاح للشيخ الطيب العقبي، وفي وادي ميزاب لأبي اليقظان، وفي الصحف والمجلات التي أسسها الشيخ ابن باديس قبل الجمعية[2]. وكتب في مجلات تصدر خارج الجزائر مثل المنهل(المملكة العربية السعودية)، وكذلك في مجلة الرابطة العربية(القاهرة). كذلك تعاون مع رجال خيرين في تأسيس نوادي وجمعيات خيرية، علمية، تربوية؛ حيث كان من مؤسسي النادي الإسلامي، الذي ترأسه محمد الهادي بن معنصر ابن الشيخ بن معنصر، كما كان من مؤسسي الجمعية الخيرية الأغواطية[3]، التي كرست جهودها لإسعاف الفقراء واليتامى.

1 - ينظر: مجموعة جريدة البصائر، مج1، ع28،ع29،ع30،ع31.

2 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة ، ج2 ، ص 15.

3 - علي بن الطاهر، مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية ، ص 139.

وكان من مؤسسي كذلك جمعية النادي الإسلامي سنة 1934م، وأيضا أسس وترأس الجمعية الدينية الإسلامية الميلية سنة 1936م[1]، وأسس أيضا في فيفري 1934م جمعية حياة الشباب التي ترأسها عمارة بن عميرة[2].

كذلك أداءه لأدواره ومسؤولياته التي أناطته بها الجمعية والشيخ ابن باديس، حيث انتقل إلى الأغواط بطلب من الإمام ابن باديس[3]، للتدريس بمدرستها الجديدة، وذلك سنة 1927م، ونقلت الشهاب خبر انتقال الأستاذ مبارك إليها، في مقال بتوقيع الأستاذ أحمد بوشمال مما جاء فيه: "..فكان الأستاذ الشيخ مبارك هو الكفء لذلك، والرجل المستطيع للأخذ بزمام هذا المشروع والسير به في سبيل الحياة والتقدم"[4]. حيث استقبل استقبالا عظيما[5].

وتعد هذه الاستجابة من منهج الشيخ مبارك في التعاون على البر والتقوى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" الذي أمر به الإسلام، حيث وافق الشيخ مبارك على ذلك قبل تأسيس الجمعية، لعلمه أن ذلك من خطة أراد بها إمام النهضة عبد الحميد إبن باديس أن يوزع العلماء على جهات الوطن، كما نبه لذلك الباحث صاري.

6.5. الاعتزاز بالانتماء:

إلى الأمة الإسلامية والمجتمع الجزائري، حيث رفض بشدة الاندماج، وكتب في ذلك كما مر معنا، وألف كتابه تاريخ الجزائر في الحاضر والماضي، مبرزا هذه العاطفة عاطفة الانتماء، والاعتزاز "فهو يعتز في الجزء الأول المخصص للفترة السابقة على دخول الإسلام بشخصيات أمازيغية مثل ماسينيسا ويوغرطا وتاكفاريناس، بل إنه وهو العالم المسلم، يشيد بشخصية مثل الكاهنة مدفوعا بروح وطنية لم ينل منها حماسه للإسلام وتدينه الشديد.." [6]، ونرى أن وراء هذا الاهتمام بالوطنية حكمة جليلة وخطة تربوية رشيدة، سلكتها الجمعية، غذّت من خلالها أهدافها الإصلاحية وهيأت الأرضية للثورة المباركة.

ويمكن أن نتلمس هذا الأمر من خلال تتبع كتابه تاريخ الجزائر، خاصة في الجزء الأول الذي تحدث فيه عن فترة ما قبل الإسلام، حيث لم يراع فيه الأسلوب الأكاديمي بقدر ما راعى الأهداف الوطنية من وراء تأليفه لهذا الكتاب ◆◆.

1 - ينظر: مجموعة جريدة البصائر، مج1 ، ص ص 168-169.
2 - مجموعة جريدة البصائر، مج1 ، ص ص 50-51.
3 - علي بن الطاهر، مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية، ص ص 117-118.
4 - ينظر: مجموعة الشهاب، مج 2 ، ص 855.
5 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة،ج2 ، ص 15.
6 - ينظر: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، ج2 ، ص 36.
◆◆ - ينظر حديثه عن الملك الأمازيغي سيفاكس وكيف كانت نهايته، وكذلك حديثه عن يوبا الثاني الذي فتح وطنه للرومان... وكذا تعاليقه السياسية على تلك الأحداث والعبر الجليلة التي استخلصها والتوجهات الهامة التي أودعها في تلك التعاليق.

7.5. لا يهادن في الحق:

عُرِف الشيخ مبارك بالمتشدد وما ذلك إلا لأنه كان لا يهادن في الحق أحدا، وسنعرف من خلال الأمثلة الآتية قوة هذه الخصلة في نفسه :

المثال الأول: موقفه من الطرقية والطرقيين، لم يهادن الشيخ مبارك الطرقيين، بل هاجمهم من أول عهده بالكتابة في الصحف، إذ كان أول مقال كتبه في جريدة المنتقد تحت عنوان: العقل الجزائري في خطر، ضمنه نقدا لاذعا للأوضاع التي فرضها الطرقيون على الشعب الجزائري، وظلت مقالاته تترا منبهة لخطر الطرقية على المجتمع الجزائري، فكتب في البصائر واصفا حياة الجزائريين في ظل الطرقية: "حياة تطبع القلب على الخوف من المخلوق، والعقل على الجمود، وقبول المحال، والنفس على التقصير على الصالحات اتكالا على أولي الخصوصيات". وختم بيان موقفه منهم والتحذير من آرائهم في كتابه: رسالة الشرك ومظاهره.

ولقد كان الظرف صعبا على الكثيرين لإبداء رأيهم صراحة في الطرقية في ظل مجتمع كان إلى وقت الشيخ مبارك يؤمن جل أفراده بآراء الطرقية وعقائدها، وكان المحيط الاستعماري ينشر بظلاله على آرائها ونشاطاتها .

ويصف الشيخ أحمد سحنون رحمه الله، ما يكن له أعداءه من الحقد وتمني الموت، حين بدأه مرض السكري، في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي، وذلك في أبيات جميلة معبرة، داعيا له فيها بالشفاء[1]:

برئت من السقم الذي أنهك الجسما .:. وهدد فيك العلم والأدب الجما .
فكان على الإصلاح برؤية نعمة .:. وكان على أعدائه نقمة عظمى .
تمنى رجال أن تموت لأنهم .:. رأوا منك في إقناعهم رجلا شهما .
ولكن لطف الله جاء بضد ما .:. تمنوه فازدادوا على غمهم غما .

المثال الثاني: موقفه من ابنه محمد حين يتهاون في أمر الصلاة، فرغم حبه الشديد له كما يذكر ذلك ابنه في مقدمة كتاب الشيخ مبارك" تاريخ الجزائر في القديم والحديث" إلا أنه كان لا يتردد في إنزال أشد العقوبات عليه حين يتعلق الأمر بواجب مثل الصلاة، يقول محمد الميلي ابن الشيخ مبارك[2]: "فهو لم يكن يستعمل الشدة معي إلا حيث تكون لازمة، أي عندما يتعلق الأمر بشيء لا يمكن التساهل فيه مثل ترك الصلاة، آنذاك لا يتردد في إنزال شديد العقاب بي لا يشفع في ذلك حبه الشديد لابنه ولا تدخل والدتي أو جدتي ..".

المثال الثالث: انتقاده للشهاب، لنشرها مقالا لأحد دعاة الاندماج وهو المدعو محمد زرقين، ووصفها للخلاف بين الاندماج والاتحاد –الذي اقترحه علماء الإصلاح كوسيلة للاعتراف بالأمة

1 - مجموعة جريدة البصائر، مج1 ص 388.
2 - في مقدمة: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، ج1 ،ص 18.

الجزائرية وكحَلّ مرحلي لدفع فتنة الاندماج - بأنه خلاف لفظي، فكتب يرد على ذلك بمقاله المعنون بالاتحاد والاندماج، ومما جاء فيه: "..حتى جاء العدد147 من مجلة الشهاب يحمل مقالا للسيد محمد زرقين يدافع به عن الاندماج ويبين فضله على الاتحاد، فعجبت لقوم يرفعون الأصوات بمثل هذه الغمات، في هاته الأوقات ...وعجبت كثيرا من قول الشهاب الذي ما ربطنا به غير رابطة الصراحة والإخلاص؛ إذ جعل الخلاف بين ما نشرته المجلة وما نشر بها السيد زرقين خلافا لفظيا، إن هذا القول يعد في نظرنا خذلانا للفكرة أو انهزاما قويا أمام ضعيف .."[1]، وختم مقاله بلهجة قوية تعبر عن قوة إرادته في الصدع بالحق: "... ولو أن المفكرين في صالح الجزائر والعاملين لتطهير عقولنا من الأوهام يتفقون كلهم –وهو ما لا يكون أبدا –على فكرة الاندماج لوقفت في صف دعاة الجمود ونصراء الخرافات والأوهام لأني أرى ذلك خيرا من الاندماج "[2].

هذا الموقف لا يمكن فهم قوة الاستدلال به إلا حين نفهم مكانة الشهاب في قلب الشيخ مبارك وكذا مكانة أستاذه الإمام ابن باديس صاحب الشهاب في قلب الشيخ مبارك، فقد كان رحمهم الله جميعا، كابن القيم مع شيخه ابن تيمية، ينصر آراءه ويدافع عنه في كل صغيرة وكبيرة، ويلبي طلباته، بإخلاص وتفاني، ولما توفى الإمام ابن باديس وكان عليه أن يؤبنه في غياب الإمام الإبراهيمي، لم يتمالك نفسه وأجهش بالبكاء، وظل لأيام لا يتكلم ولا يعبر عن ما في نفسه إلا إشارة أو إيماء[3].

وفي رسالة إلى الشيخ الإبراهيمي يصف الحادث: "عندما سمعت لدى وصولي إلى قسنطينة بموته شعرت أن الدورة الدموية أصبحت تسير في عكس الاتجاه المعهود، وعرفت في الحين أن داء السكري قد عاودني وأنه لن يفارقني حتى يقضي علي" [4].

وفعلا كانت تلك المنعرج الكبير في حياة الشيخ مبارك، فقد كانت علاقته بالإمام ابن باديس ذات طابع روحي "بحيث لم يستطع الشيخ مبارك أن يتصور استمراره في الحياة دون ابن باديس"[5].

وفعلا تناقص مردوده بفعل اشتداد المرض، وتحولت مدرسة الشيخ إلى تبسة حيث الشيخ العربي التبسي، وما لبث أن فارق الحياة الدنيا بعد حوالي خمس سنوات على وفاة الإمام ابن باديس.

"والحق أن الصلة بينهما كانت متينة، فلم يكن أعز عليه في الحياة من الأستاذ ابن باديس كما لم يكن عند هذا أغلى عليه في حياته من تلميذه مبارك"[6].

المثال الرابع: موقفه من السعيد الزاهري، والذي كان من أعضاء المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين لكنه لما لم يجدد انتخابه لعضوية مجلس إدارتها أثناء اجتماعها في عام 1936م انقلب عليها،

1 - مجموعة الشهاب، مج 4 ، ص 55.
2 - مجموعة الشهاب، مج 4 ، ص 59.
3 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني ، ص 109.
4 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص 109.
5 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص 109.
6 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2 ، ص 16.

واتهم بعض أعضائها بالعمل ضده، فأخذ يهاجمهم علانية، وأسس صحافة خاصة لمهاجمة العلماء، و مبادئ الإصلاح التي كان يدافع عنها ثم انقلب عليها[1]، فرد عليه الشيخ مبارك بمقالات[2].

كذلك رده على المولود الحافظي الذي كتب مقالات يرد فيها على مقال للشيخ الميلي ضمه فتوى تخص جواز الأكل من شحوم الأوروبيين بشروط، حيث استعمل المولود الحافظي في رده أسلوبا فيه الطعن والسب والتحامل، فرد عليه الشيخ مبارك بمقالات[3].

8.5. النظام والانضباط:

وكانا سجية في طبعه، فقد حرص وهو المعلم والمربي والمدرس كل الحرص على النظام وحسن التسيير، نستشف ذلك مما يلي:

- تنظيمه لأوقات الدراسة، فقد حدد الحجم الساعي للتدريس بخمس ساعات في اليوم، وحدد بداية الدراسة بالساعة الثامنة، وتنتهي الفترة الصباحية على الساعة الحادية عشر، أما الفترة المسائية فتبدأ من الساعة الثانية وتمتد إلى الرابعة.

- فصله للتلاميذ المنتظمين عن التلاميذ الذين يزاولون دراستهم بالمدرسة الفرنسية؛ حيث خصص للتلاميذ الذين يدرسون بالمدرسة الفرنسية، توقيتا مسائيا كل يوم بعد خروجهم من المدرسة الفرنسية.

- تحديده لمدة الدراسة الابتدائية بخمس سنوات، حيث يدرسهم في السنة الأولى والثانية معلم، ويكملون السنوات الثلاثة الباقية مع معلم آخر.

حيث سمح له هذا النظام وهذا الضبط من إجراء أول امتحانات الحصول على شهادة التعليم الابتدائي في نهاية السنة الدراسية1930م.

كما أنه كان منضبطا جدا بأعماله ومسؤولياته، في جمعية العلماء، فنجده مثلا يحرص على السير الحسن، وعدم تعطيل شؤون مالية جمعية العلماء، فكان يعين من ينوب عنه، إذا غاب لتسيير شؤون مالية الجمعية، ويعلن ذلك عبر صفحات جريدة البصائر[4].

كما أنه كان منضبطا بمواعيده ويوفي بوعوده، فقد وعد قراءه بإتمام مقالات الشرك ومظاهره وطبعها في كتاب مستقل ووفى بذلك.

كما إنه كان صارما وحازما في أموره[5].

1 - أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2 ، ص ص 133-134.
2 - ينظر: جريدة البصائر، ع114 .
3 - في: مجموعة الشهاب، مج 3 ، ع111، ع112، ع113، ع114، ع115، ع116، ص ص 219-305.
4 - ينظر: جريدة البصائر، السنة الأولى، ع33.
5 - مقدمة محمد الميلي في: مبارك الميلي، تاريخ الجزائر، ج1 ، ص 16.

9.5. الشفافية والوضوح:

صراحته في ما يقتنع به وفيما يؤديه من أعمال كانت واضحة، نكتفي بمثال واحد مرتبط بمسؤوليته في مالية الجمعية، حيث كان ينشر تقارير مالية الجمعية عبر صفحات جريدة الجمعية، وتركها سنة لمن بعده ممن أنيطت بهم هذه المهمة (مالية جمعية العلماء).

وزيادة على هذا فقد كان ينشر قائمة المتبرعين للجمعيات التي أسسها، كل باسمه والمبلغ الذي تبرع به، عبر صفحات جرائد الجمعية أيضا، وكذلك تبرعات بناء المدارس والمساجد[1].

10.5. حبه للعلم والعلماء:

فقد كان في صغره محبا للعلماء، إذ تعلق بشيخه الأول بن معنصر، ثم بالإمام ابن باديس، حتى أنه عند وفاة الشيخ ابن باديس لم يستطع أن يكمل تأبينه، وبدا عليه الحزن لمدة، وفَتَر حتّى عن بعض أعماله[2].

أما حبّه وشغفه بالعلم فواضح في سيرته وهو طفل ثم وهو طالب بمختلف المراحل التي مر بها حتى نال شهادة التطويع في المرتبة الأولى، متفوقا حتى على أهل جامع الزيتونة (التونسيين).

ويلاحظ من خلال كتاباته ومصنفاته ومناقشاته العلمية[3]، وفتاواه[4]، ومقالاته[5]، ضلوعه في: فروع علوم الدين جميعا؛ من أدب، وتفسير، وتاريخ، وعقيدة، وعلم الحديث ...الخ.

يذكر أحد تلاميذه: "وهنا لابد أن أسجل للقارئ الكريم أمرا عجيبا، عاينته منه لم أشاهد نظيره في الجامع الأخضر ولا في الزيتونة، تراه يأتي فيجلس متربعا وليس بيده مطبوع ولا مخطوط فيملي علينا، وتأتي طبقة بعدنا فيملي عليها، وإملاؤه كله ارتجالي، وهذا يصعب على كثير ممن تعاطوا تدريس العلوم بالمعاهد الشمالية، يملي بالارتجال في النحو والصرف ومخارج الحروف والمنطق وشرح قصيدة السموءل على هذا المنوال، فتعجبنا وظن البعض منا أنه يحفظ ويأتي فإذا بنا نراه تمادى على ذلك ففهمنا أن الرجل أعجوبة زمانه ذكاء، وذو فكر جبار وعبقرية نادرة قلّ أن تجد مثلها اليوم في غيره، وذو ملكة راسخة في جميع الفنون، فأمثال الراحل لو طالت حياتهم لقدموا إلى أمتهم تآليف متنوعة في علوم مختلفة، لا تاريخ الجزائر ورسالة الشرك ومظاهره فقط"[6].

---

1 - مبارك الميلي، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، ع2 ، ص ص 1-2.

2 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني ، ص 109.

3 - ينظر: مجموعة الشهاب،مج3، ص ص 219-305.

4 - ينظر مناقشته للشيخ أبي يعلى الزواوي حول لفظ الغفارة بالبصائر، وكذلك رده على المولود الحافظي، في: مجموعة الشهاب ، مج3، ص ص219-305. وكذا فتواه حول القراءة على الموتى، في: مجموعة جريدة البصائر، مج1 ، ص 236.

5 - ينظر مقالته: تعليم المرأة الكتابة، مجموعة الشهاب، مج 12 ، ص ص 295-305.

6 - محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني، ص ص 338-339.

6. خاتمة

يعد مبارك الميلي مدرسة رائدة في الإصلاح والتغيير، بما وهبه الله تعالى، من علم واسع، ونظر ثاقب، وخلق عال، فقد كانت ثمار دعوته، تُنبئ عن ذلك الجهد الكبير، والعمل الرائد ،الذي تحمله في وقت يعد بالقصير إذا ما قورن:

- بالنتائج الطيبة التي حققها في:
  - بناء المدارس .
  - تخريج نشأ وأجيال طيبة، وطلاب علم ورجال إصلاح.
  - تأسيس نواد وجمعيات.
  - تأسيس ودفع العمل المؤسساتي إلى الأمام.
  - توظيف وسائل الإعلام في الدعوة الإصلاحية .
- وكذلك إذا ما أخذنا بعين الاعتبار حجم التحديات التي واجهها سواء:
  - كفرد في شخصه .
  - وكعضو في جمعية العلماء.
  - وكعضو من مجتمع محاصر، ومكبل بقيود الاستعمار والتخلف، والضعف والهوان، والقابلية للاستعمار.
  - وكجزء من أمة أصابها الوهن.

والمتتبع لجهود الشيخ الميلي ومواقفه يدرك حجم غفلة الجزائريين عن تتبع جهود علمائهم والاستفادة من مناهجهم وآرائهم، ومواقفهم، خاصة وأنهم أقدر من غيرهم على صبر أغوار المجتمع ومشاكله، وإدراك الحلول المناسبة له، وهو ما يتطلب منا التفاتة علمية لجهودهم، واستخلاص واع لأساليبهم ووسائلهم في الدعوة والإصلاح، بهدف الإفادة منها، وتوظيفها، للدفع بالدعوة إلى الأمام وتوعية شباب الأمة وتبصيرهم بالحق.

7. قائمة المراجع

- **المؤلفات:**

- أنيس، إبراهيم، ومنتصر، عبد الحميد، والصوالحي، عطية، وأحمد، محمد خلف الله، (د ت)، ***المعجم الوسيط***، القاهرة، دار الفكر، مج2.

- بوحوش، عمار، (1997)، ***التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية1962م***، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (1984م)، ***مجموعة جريدة البصائر***، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قسنطينة، الجزائر، دار البعث.

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (2001م)، ***مجموعة جريدة البصائر***، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.

- حماني، أحمد، (1984م)، ***صراع بين السنة والبدعة، قسنطينة***، الجزائر، دار البعث.

- دبوز، علي، (1978م)، ***أعلام الإصلاح في الجزائر من 1921م/1975م***، قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث، قسنطينة.
- الطالبي، عمار، (1997)، ***آثار الإمام عبد الحميد بن باديس***، الجزائر، المكتبة الجزائرية.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (د ت)، ***لسان العرب***، بيروت، لبنان، دار المعارف، ج14.
- ***مجموعة الشهاب لمنشئها عبد الحميد ابن باديس***، (2001)، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- الميلي، مبارك، (د ت)، ***تاريخ الجزائر في القديم والحديث***، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
- الميلي، محمد، (2001)، ***الشيخ مبارك الميلي، حياته العلمية ونضاله الوطني***، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي.

• **الأطروحات:**.

- بن الطاهر، علي، (2001)، ***مبارك الميلي وجهوده في الحركة الإصلاحية***، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

• **المقالات:**

- الإبراهيمي، محمد البشير ، (1948)، ***جريدة البصائر***، السلسلة الثانية، ع 26.
- ابن باديس، عبد الحميد ، (1938)، ***جريدة البصائر***، السنة الثانية، العدد 144.
- الجنان، عبد الحفيظ، (1948)، ***أطوار من حياة الشيخ مبارك***، البصائر، لسان حال جمعية العلماء، العدد27، السنة الأولى من السلسلة الثانية.
- العقبي، الطيب، (أكتوبر 1929م)، ***مجلة الإصلاح لمنشئها الشيخ الطيب العقبي***، الجزائر، العدد 5.
- سعادة، مولود، (رمضان 1419هـ، 1998م)، ***إسهامات الشيخ مبارك الميلي في الفكر العقدي الإسلامي***، مجلة معهد العلوم الإسلامية وأصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، السنة الأولى، العدد1.
- الميلي، مبارك، (1933)، ***الاتحاد والاندماج***، جريدة السنة المحمدية، ع2.
- الميلي، مبارك، (1925)، ***العقل الجزائري في خطر!!*** ، المنتقد، ع6.
- الميلي، مبارك، (1925)، ***المصلحون والمرجفون***، المنتقد، ع14.
- الميلي، مبارك، (1925)، ***الملوكية ضمن الجمهورية***، المنتقد، ع3.
- الميلي، مبارك، (1925)، ***حول عنوان هذه جزائركم تحتضر***، المنتقد، ع18.
- الميلي، مبارك، (1925)، ***هل نحن في بداية نهضة***؟، المنتقد، ع10.
- الميلي، مبارك، (1933)، ***التقرير المالي عن السنة الثانية***، جريدة الشريعة النبوية المحمدية، ع2.
- الميلي، مبارك، (1938)، جريدة البصائر، ع144.
- الميلي، مبارك،(1929م)، ***الإصلاح وحاجتنا إليه***، مجلة الإصلاح لمنشئها الشيخ الطيب العقبي، ع5.